

﴿وَأَن نَّكْفُؤُاْ أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُواْ  
أَيِّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَ أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: 12]

### ✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ السَّبَبَ الْمَوْجِبَ لِمُجَازَاةِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ، وَهُوَ  
الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ خَتَمَ بِتَقْدِيرِ تَوْبَتِهِمْ، رَجَعَ إِلَى  
قَسِيمِ قَوْلِهِ: ﴿فَمَا اسْتَقْلَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ فقال: ﴿وَأَن نَّكْفُؤُاْ  
أَيْمَانَهُمْ﴾ الآية<sup>(1)</sup>. وَأَيْضًا: لَمَّا اسْتَوْفَى الْبَيَانَ لِأَصْنَافِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ  
أَمَرَ اللَّهُ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عَهْدِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾  
إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 3] وَأُطْنَبَ فِي  
الْكَلَامِ لِإِبْطَانِهِمُ الْغَدْرَ، وَالَّذِينَ أَمَرَ بِاتِّمَامِ عَهْدِهِمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ مَا  
اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ  
لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: 4] الْآيَاتِ، وَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ عَطْفَ عَلَى  
أَوَّلِكَ؛ لِبَيَانِ الَّذِينَ يُجَاهِرُونَ بِنَكْثِ الْعَهْدِ، وَيُعْلِنُونَ بِمَا يُسْخِطُ  
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَوْلِهِمْ<sup>(2)</sup>.

### ✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿نَّكْفُؤُاْ﴾: الْأَصْلُ فِي النَّكْثِ: أَنْ تُنْقَضَ الْخِيوطُ الْخَلْقَةُ  
الصُّوفِ وَغَيْرِهِ، بَعْدَ إِبْرَامِهِ فِي الْأَكْسِيَّةِ وَالْغَزْلِ؛ لِإِعَادَةِ قَتْلِهِ  
وَنَسْجِهِ، فَيَدُورُ الْمَعْنَى الْمَحْوَرِيُّ لِلْكَلِمَةِ عَلَى تَشْعِثِ الشَّيْءِ الْمُتَتِمِّ  
وَنَقْضِهِ، كَالْخِيَطِ وَالْحَبْلِ وَعُودِ السَّوَاكِ لَمَّا تَشَعَّتْ مِنْ رَأْسِهِ، فَهُوَ  
بِمَعْنَى النَّقْضِ بَعْدَ الْإِحْكَامِ، كَمَا تُنْكَثُ خِيَطُ النَّسَائِجِ بَعْدَ إِبْرَامِهَا،  
وَاسْتُعِيرَ مُجَازًا لِنَقْضِ الْإِيمَانِ أَوْ الْعَهْدِ وَالْبَيْعَةِ، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/391.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/129.

تنوع مناسبات  
الآيات قوة في  
إحكام بلاغتها؛  
لبيان مصير من  
تاب ومن نكث

مِنَ التَّرْكِيبِ - عدا نَكَثَ الْغَزَلَ فِي آيَةِ النَّحْلِ [92] - فَهُوَ مِنْ نَكَثِ الْإِيمَانِ وَالْعُھُودِ؛ أَي: مِنْ النُّكْثِ الْمَجَازِيِّ<sup>(1)</sup>.

(2) ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾: جَمْعُ يَمِينٍ، مِنْ الْيَمَنِ، وَأَصْلُ الْيَمِينِ هُوَ يَمِينُ الْيَدِ؛ أَي: الْجَارِحَةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَالْيَمِينُ فِي الْحَلْفِ مُسْتَعَارٌ مِنَ الْيَدِ اعْتِبَارًا بِمَا يَفْعَلُهُ الْمُعَاهِدُ وَالْمُحَالِفُ وَغَيْرُهُ؛ لِأَنَّ الْمُتَحَالِفِينَ كَانُوا يَتِمَاسَحُونَ بِإِيمَانِهِمْ فَيَتَحَالَفُونَ، وَكُلُّ مَا جَاءَ بِلَفْظِ (إِيمَان) فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ بِمَعْنَى الْحَلْفِ وَالْأَقْسَامِ<sup>(2)</sup>، "وَالْجَمِيعُ: الْإِيمَانُ وَالْأَيْمُنُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لَيْمَنُكَ وَأَيْمَنُكَ فِي الْحَلْفِ، يَرِيدُونَ بِهِ الْيَمِينَ، وَيُقَالُ: بَلْ يُرِيدُونَ بِهَا أَيْمَنَ. وَيُقَالُ: لَا أَيْمُنُكَ، كَقَوْلِكَ: لَا وَاللَّهِ"<sup>(3)</sup>، وَهِيَ كَقَوْلِهِمْ: يَمِينُ اللَّهِ، كَانُوا يَحْلِفُونَ بِهَا، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ: فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا \*\*\* وَلَوْ ضَرَبُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي<sup>(4)</sup>

(3) ﴿وَطَعْنُوا﴾: الطَّعْنُ: هُوَ الضَّرْبُ بِالرَّمْحِ وَبِالْقَرْنِ، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا، وَيَدُورُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ عَلَى نَفَازٍ حَادٍّ دَقِيقٍ، أَوْ نَفَازٍ بَحْدَةٍ فِي مَادَّةٍ قَرِيبَةٍ لَيْتَةٍ: كَالرَّمْحِ فِي الْبَدَنِ، وَهَوَ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَطْعُونُ قَرِيبًا، فَلَا يُقَالُ طَعْنُهُ بِالسَّهْمِ، وَاسْتُعِيرَ الطَّعْنُ لِلْوَقِيعَةِ فِي الشَّيْءِ بِالذَّمِّ وَالْعَيْبِ، وَمِنْ الْمَجَازِ: طَعْنٌ فِيهِ بِالْقَوْلِ إِذَا عَابَهُ، وَمِنْهُ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَمَنْ ابْتَدَأَ بِشَيْءٍ أَوْ دَخَلَهُ فَقَدْ طَعَنَ فِيهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: طَعَنَ فَلَانٌ فِي السِّنِّ إِذَا دَخَلَ فِيهَا<sup>(5)</sup>.

(4) ﴿أَيْمَةً﴾: جَمْعُ إِمَامٍ، وَهُوَ الْمُؤْتَمُّ بِهِ، إِنْشَاءً كَأَن يَقْتَدِيَ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ، أَوْ كِتَابًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، مُحَقِّقًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ مُبْطِلًا، وَالْإِمَامُ مَا اتَّخَذَ بِهِ سَوَاءً أَكَانَ رَئِيسَ الْقَوْمِ أَمْ غَيْرُهُ، وَ﴿أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾: رُؤَسَاءُ الْكُفْرِ وَقَادَتُهُمْ الَّذِينَ ضَعَفَاؤُهُمْ تَبَعَ لَهُمْ؛ أَي: الَّذِينَ بَلَغُوا الْغَايَةَ فِي الْكُفْرِ، بَحِثْ صَارُوا قُدُوةً لِأَهْلِ الْكُفْرِ<sup>(6)</sup>.

(5) ﴿يَنْتَهُونَ﴾: مِنَ النَّهْيِ، وَهُوَ ضِدُّ الْأَمْرِ، نَهَاهُ يَنْهَاهُ نَهْيًا، فَانْتَهَى وَتَنَاهَى، أَنْشَدَ سَيَّبُوهُ:

إِذَا مَا انْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ \*\*\* أَطَالَ فَأَمَلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَا

(1) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ، وَالرَّمْخَشَرِيُّ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ، وَجِبِل، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (نَكَثَ).

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ، وَالرَّمْخَشَرِيُّ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ، وَالزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَجِبِل، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (يَمِنُ).

(3) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ: (يَمِنُ).

(4) الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ، غَرِيبُ الْحَدِيثِ: (يَمِنُ).

(5) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالرَّمْخَشَرِيُّ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، وَجِبِل، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (طَعَنَ).

(6) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (أَمَمَ).

وَتَنَاهَا عَنِ الشَّيْءِ: نَهَى بَعْضَهُمْ بَعْضًا، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [البقرة: 79]، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: يَنْتَهُونَ<sup>(1)</sup>، وَيَدُورُ مَعْنَى النَّهْيِ عَلَى تَحْبُسِ الشَّيْءِ فِي مَكَانِهِ وَتَوَقُّفِهِ فِيهِ لَا يَتَخَطَّاهُ، وَمِنْهُ: النَّهْيُ ضِدُّ الْأَمْرِ، وَهُوَ مِنَ التَّحْبُسِ وَالتَّوَقُّفِ عِنْدَ حَدٍّ فِي الْأَصْلِ، وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَأَتَيْنَاهُ﴾ [الحشر: 7]، فَالْنَّهْيُ: طَلَبُ كَفٍّ عَنِ بَدْءِ أَمْرٍ أَوْ عَنِ اسْتِمْرَارِهِ، وَالْإِنْتِهَاءُ: الْإِنْزِجَارُ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ بِالتَّوَقُّفِ عَنْهُ<sup>(2)</sup>.

### ❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

إِنَّ نَقْضَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ مَعَكُمْ، وَأَظْهَرُوا الطَّعْنَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَثَلَبُوهُ وَعَابُوهُ فَقَاتَلُوا رُؤَسَاءَ الْكُفْرِ، إِنَّ زَعَمَاءَ الْكُفْرِ لَا عَهْدَ لَهُمْ، حَتَّى يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ؛ وَنَكَثَ الْعَهْدَ وَعَدَاوَتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ<sup>(3)</sup>، وَهَذَا الْأَمْرُ بِالْقِتَالِ دَاخِلٌ فِي الدِّفَاعِ الْمَشْرُوعِ عَنِ النَّفْسِ، وَحِمَايَةِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّأَمُّرِ وَالْإِعْتِدَاءِ.

### ❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

#### مُنَاسَبَةُ الْوَصْلِ بِالْوَاوِ فِي ﴿وَإِنْ﴾:

عُطِفَتِ الْآيَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ لِتَكُونَ مُقَابِلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَابُوا﴾؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْجِهَةِ الْجَامِعَةِ؛ لِلْإِذَاانِ بِأَحْكَامِ الْقِسْمِ الْآخِرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْمُخَادِعِينَ، النَّاكِثِينَ أَوْ الْعَازِمِينَ عَلَى النَّكَثِ؛ أَيْ: وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ - بِأَنْ نَكَثُوا عَهْدَهُمْ، وَأَظْهَرُوا مَا فِي ضَمَائِرِهِمْ مِنَ الشَّرِّ. وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الْفِعْلِ، وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ، وَقَدَحُوا فِيهِ بِتَصْرِيحِ التَّكْذِيبِ، وَتَقْبِيحِ الْأَحْكَامِ - ﴿فَقَتِّلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) ابن سيدة، المحكم: (نهي).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والزَّاعِبُ، والفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (نهي).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 14/153 - 154، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير للبسر، ص: 188.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/47، والبروسوي، روح البيان: 3/390، والقَوَجِي، فتح

البيان: 5/244، ورضا، تفسير المنار: 10/172.

توجيه بقتال  
من نكث الأيمان  
وطعن في الدين  
حمية للنفس  
واللغة

الإيذان بأحكام  
القسم الآخر  
من المشركين  
الناكثين أو  
العازمين عليه

### بلاغة التعبير بأداة الشرط «وَإِنْ»:

الأصل في أداة الشرط (إِنْ) أَنَّهَا تَفِيدُ الْخُلُوعَ عَنِ الْجَزْمِ فِي الشَّرْطِ، وَنَدْرَةَ حَصُولِهِ، وَلَمَّا اقْتَرَنَ بِهَا الْفِعْلُ الْمَاضِي «نَكْتُوْا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِنْ نَكْتُوْا أَيْمَنَهُمْ»؛ دَلَّتْ عَلَى الْجَزْمِ؛ لِمَا يُؤْذَنُ بِهِ الْفِعْلُ الْمَاضِي مِنَ التَّحَقُّقِ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ جَارِيًا عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، وَنَكْتُهُ مَجِيءُ «وَإِنْ» تَنْزِيلُ الْمُخَاطَبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْزِلَةً مَن هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ؛ لِعَدَمِ جَرِيهِ عَلَى مُوجِبِ الْعِلْمِ؛ لِنَكْتِهِمْ أَيْمَانَهُمْ وَطَعْنَهُمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلِلإِشْعَارِ أَنَّ الْمُتَوَقَّعَ مِنْهُمْ هُوَ النَّكْتُ وَالطَّعْنُ؛ لِيُؤْذَنَ بِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِمَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِمَجِيءِ الْفَعْلَيْنِ بِصِيغَةِ الْمَاضِي<sup>(1)</sup>.

نكثُ العهود،  
والطَّعنُ في  
الدِّينِ، ديدنُ  
الكفرة للزَّوْغِينَ

### بلاغة الاستعارة في «نَكْتُوْا أَيْمَنَهُمْ»:

جاءَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ، إِذْ شُبِّهَ نَقْضُ الْأَيْمَانِ بِنَكْثِ الْخِيوطِ بَعْدَ نَسْجِهَا وَإِبْرَامِهَا؛ إِذَا نَأَى بِفَسَادِ عَمَلِهِمْ وَتَقْبِيحِ أَعْمَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ بَعْدَ إِحْكَامِهِ، فَإِنَّ النَّكْثَ إِذَا وَقَعَ وَهُوَ بَعْدُ فِي حَالِ قُوَّتِهِ؛ أَي: مِنْ دُونِ مُقْتَضَى فَهُوَ فُسَادٌ مَحْضٌ، وَيَفُوتُ بِهِ الْمَطْلُوبُ.

فسادُ عملِ  
النَّاكِثِينَ  
العهودَ، وتقبُّحُ  
فعلِهِمِ للمشِينِ

### نكته التعبير بلفظ «نَكْتُوْا»:

عَبَّرَ عَنْ نَقْضِ الْعَهْدِ بِنَكْثِ الْأَيْمَانِ تَشْنِيْعًا لِلنَّكْثِ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ كَانَ يُقَارَنُ الْيَمِينَ عَلَى الْوَفَاءِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْعَهْدُ حِلْفًا، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِتَعْظِيمِ شَأْنِ الْحِلْفِ مِنْهُ الْقِدَمُ<sup>(2)</sup>، وَمِنْ النَّكْثِ قِيلَ لِمَنْ يَبَايَعُكَ عَلَى شَيْءٍ، ثُمَّ يَنْقُضُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ نَفْسِهِ: نَاكِثٌ، وَعَادَةً مَا يُسْتَعْمَلُ هَذَا اللَّفْظُ فِي نَقْضِ الْأَيْمَانِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»<sup>(3)</sup>

متابعةُ الحلفِ  
لِلْعَهْدِ تَقْوِيَةً  
له وَحُتًّا عَلَى  
استدامةِ الوفاءِ  
به

(1) السَّكَاكِيُّ، مفتاح العلوم، ص: 240.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/129.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا<sup>(1)</sup> استعمالٌ في غايةِ البلاغةِ، ويُؤيِّدُ المعنى بجلاءٍ وقُوَّةٍ<sup>(1)</sup>.

### دخول حرف الجر على الظرف في ﴿مِنْ بَعْدِ﴾:

النَّكَثُ غَدْرٌ  
للعهد، وجنثٌ  
باليَمِينِ، وهو  
خُلُقٌ دَمِيمٌ

في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ جاءَ ظرفُ الزَّمانِ مَجْرُورًا بـ ﴿مِنْ﴾ التي تقيّدُ ابتداءَ الزَّمانِ؛ للإشعارِ بأنَّ نكثَهم الأيمانَ جاءَ بعدما أحكموا عهدَهم مُباشرةً مِنْ غيرِ مُهلةٍ، فلمْ يُطيلُوا بقاءَهم على العهدِ، بل سارعوا إلى نقضِهِ، هذا إنْ كانَ ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ مُتعلِّقًا بـ ﴿نَكثُوا﴾، وإذا كانَ الجارُّ والمجرورُ مُتعلِّقًا بـ ﴿أَيَمَّنَّهُمْ﴾ أفادَ أنَّ الحِلْفَ وَقَعَ بعدَ العهدِ مُباشرةً، كما هو الظَّاهرُ، إذ الغالبُ أن يكونَ الحِلْفُ بعدَ العهدِ، فيكونَ التَّقْيِيدُ بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ زيادةً في تَسْجِيلِ شناعةِ نكثِهِم، بِتذكيرِ أَنَّهُ غَدَرٌ للعهدِ، وَجَنَثٌ بَالِيَمِينٍ<sup>(2)</sup>.

### دلالة الإضافة في قوله: ﴿عَهْدِهِمْ﴾:

العهدُ لا يُنْقَضُ  
في كُلِّ اللَّيْلِ،  
وعندَ كُلِّ  
الشُّعُوبِ

لَمَّا كانَ المرادُ مِنَ العهدِ هنا المصدرَ، وكانتِ الإضافةُ هنا على معنى اللَّامِ أفادَ أنَّ المرادَ العهدُ اللَّائِقُ بِهِمْ<sup>(3)</sup>؛ إشعارًا بأنَّ العهدَ لا يُنْقَضُ، وأمَّا هُمْ فقد نقضوا العهدَ المُختَصَّ بِهِم المنسوبَ إليهم، وحُذِفَ مُتعلِّقُ المصدرِ للإيجازِ؛ إذِ التقديرُ: (مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ مَعَكُمْ أَوْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ إِلَيْكُمْ).

### دلالة الواو في ﴿وَطَعْنُوا﴾:

الطَّعْنُ فِي  
الإسلامِ ضربٌ  
مِنْ ضروبِ نكثِ  
الأيمانِ ونقضِ  
العهدِ

تَحتمَلُ الواوُ - في قوله تعالى: ﴿وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ - أن تكونَ على أصلٍ وضعها؛ لِتَفْيِيدِ الجَمْعِ بَيْنَ المعطوفينِ فِي الحُكْمِ؛ بمعنى: أَنَّ يَكُونُ الجَزَاءُ - وهو القَتْلُ - مُعلِّقًا بِحصولِ مجموعِ نكثِ الأيمانِ والطَّعْنِ فِي الدِّينِ، فيكونُ مجرَّدُ الطَّعْنِ فِي الدِّينِ لا يقتضي الجزاءَ

(1) الدِّينُورِيُّ، غريب الحديث: 2/41.

(2) القُونَوِيُّ، حاشيته على تفسير البِضاوِيِّ: 9/169، وابن عاشور، التَّحْريِرُ والتَّنْويِرُ: 10/129.

(3) البِسْطَلِيُّ، التَّقْيِيدُ الكَبِيرُ: 1/558.

إلا مع وجود نكث العهد، وفي المسألة توجيه آخر: بأن يكون العطف من عطف الخاص على العام، فيكون المعطوف بياناً للواقع، وإيضاحاً بأن الطعن في الإسلام ضرب من ضروب نكث الأيمان، ونقض العهد، وأشعر العطف أنه من أقبحه وأشنعه؛ لخصوصية عطف الخاص على العام، وليس المراد به تقييد حل قتالهم بالجمع بين النكث والطعن كما هو في الوجه الأول، كما تحتمل أن تكون بمعنى (أو)؛ ليكون العطف من عطف القسم على القسم؛ ليُفيد أن أحد الأمرين كافٍ في قتلهم؛ أي: إن نكثوا عهدهم حل قتالهم، وإن لم ينكثوا بل طعنوا في الدين مع الوفاء بالعهد حل قتالهم<sup>(1)</sup>.

### دلالة لفظ «وَطَعْنُوا»:

يُفيد لفظ الطعن - في قوله تعالى: «وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ» - كل ما يُشعرُ بالعيب، من إظهار الذم أو الفساد أو النقص فيه، أو يقال: أن يُنسبَ إلى الدين ما لا يليق به، أو يُعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين، لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه، فمن الطعن في الدين صريحُ التكذيب فيه وتضييع أحكامه، والطعن في القرآن وفي النبي ﷺ؛ وإنما كان الأمر بالقتل مُتعلّقاً بإظهار الطعن والتّصريح فيه؛ لأن الأصل في الطعن أن يكون ظاهراً، كما أن الكافر لا يخلو من الطعن في الدين سواءً أكان أصلياً أم مُرتدّاً<sup>(2)</sup>.

الطعن في الدين  
هو إظهار الذم  
أو الفساد أو  
النقص فيه

### دلالة حرف الجرّ «في» في قوله «وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ»:

أفاد الجار والمجرور «في دِينِكُمْ» من قوله تعالى: «وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ» أن طعنهم كان في أصول الدين، وأنهم كانوا أحقّ

الطعن في الدين  
ضاللاً مُبيناً، ولا  
يفعله إلا سفيه  
مهين

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/83، ورضا، تفسير النار: 10/172، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/130.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/12، وابن الجوزي، زاد السير: 2/240، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/82، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/73، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/170.

بالجزاء المذكور، ومعلوم أن الطعن في شيء من فروع الدين أو أصوله مفض إلى الكفر، وقد أتاحت لنا كتب التاريخ والسيرة وكتب التفسير بسطة من الوقائع الحقيقية عن مصائر الطاعنين في الدين، وكيف عاقبتهم القدرة بالهلاك وسوء العاقبة.

### سرُّ المخاطبة على خلاف مقتضى الظاهر في ﴿دِينَكُمْ﴾:

لم يقل: (طعنوا في دين الإسلام)؛ بل جاء بطريق الخطاب؛ للإشعار باختصاص الدين بهم؛ تشريعاً للمخاطبين، وليعم كل مخاطب، وجاء الخطاب على خلاف مقتضى الظاهر، وبيانه: أن أصل الخطاب وإن كان لمعين لكن القصد منه هنا غير معين، فلا يراد منه أهل الخطاب في وقت نزول القرآن؛ قصداً إلى أن يحصل كل مسلم مخاطب باختصاص الدين به؛ ليرد على الناكثين العهود والطاعنين في الدين.

### بلغة الاستعارة في قوله: ﴿وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾:

جاء الكلام على طريق الاستعارة التصريحية التبعية<sup>(1)</sup>، إذ شبه الثلب في الدين، والقدح فيه، والاستنقاص منه، للنيل منه وإنهائه بقوة وحدة بالطعن بالرُمح الذي يكون فيه المطعون قريباً؛ إشعاراً بحرص الطاعن على إنهاء الدين بثلبه، وإظهار العيب فيه تنفيراً للمؤمنين منه وللراغبين في الدخول فيه، أو جاء الطعن هنا على سبيل الاستعارة، بمعنى الثلب والنسبة إلى النقص، بتشبيه الدين الملتئم غير المنقوص بالجسد السليم، فإذا نقص فيه بالثلب والشتم شبه بالجسد الذي أفسد التحامه<sup>(2)</sup>.

### بلغة وضع الظاهر موضع المصمر:

وَضَعَ ﴿أَيِّمَةُ الْكُفْرِ﴾ في قوله: ﴿فَقَتِلُوا أَيِّمَةَ الْكُفْرِ﴾ موضع

(1) الرَّمْخُشَرِي، أساس البلاغة: (طعن)، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/251.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/129.

الانتساب إلى  
الدين تشريفاً  
وتكريماً في كل  
زمان ومكان

حرص الطاعنين  
على تهوين أمر  
الدين بثلبه،  
 وإظهار العيب  
فيه

الإيذان بأن  
الكافرين صاؤوا  
بالنكث والطعن  
ذوي رياسة  
وتقدم في الكفر

الضَّمِير، فَكَانَ الظَّاهِرُ أَنْ يَقُولَ: (فَقَاتِلُوا أُنْمَتَهُمْ)؛ لِيَكُونَ عَلَى نَسَقٍ مَا تَقَدَّمَ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ؛ لِلإِيْذَانِ بِأَنَّهُمْ صَاؤُوا بِالنَّكْثِ وَالطَّعْنِ ذَوِي رِيَاسَةٍ وَتَقَدَّمُوا فِي الْكُفْرِ، فَهُمْ أَحَقَّاءُ بِالْقِتْلِ وَالْقِتَالِ، إِذْ لَا يَشُقُّ كَافِرٌ غِبَارَهُمْ، فَصَارُوا قَدْوَةً لغيرِهِمْ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ أَضْمَرُوا النَّكْثَ يَبْقَوْنَ مُتَرَدِّدِينَ بِإِظْهَارِهِ، فَإِذَا ابْتَدَأَ بَعْضُهُمْ بِإِظْهَارِ النَّقْضِ اقْتَدَى بِهِمُ الْبَاقُونَ، فَكَانَ النَّاقِضُونَ أَيْمَةً لِلْبَاقِينَ<sup>(1)</sup>.

### دلالة التعبير بلفظ «أَيْمَةً»:

أَفَادَ لَفْظُ «أَيْمَةً» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَقَاتِلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ» أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي النَّقْضِ وَالطَّعْنِ، وَمَنْ صَدَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَوَّلًا أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِمْ بِالْقِتْلِ، وَأَنَّهُمْ أَحَقَّاءُ بِهِ لَتَعْلِيْقِ الْأَمْرِ بِالْقِتْلِ عَلَى كَوْنِهِمْ أَيْمَةً فِي الْكُفْرِ، إِذِ الْحَكْمُ عَلَى الْمُشْتَقِّ يُؤْذِنُ بَعْلِيَّةِ الْمَأْخُذِ<sup>(2)</sup>، وَعَنْ أَيْمَةِ الْكُفْرِ " قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: أَيْمَةُ الْكُفْرِ كَأَبِي جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَعَدَدٌ رِجَالًا.. وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مثله. وَالصَّحِيحُ كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نَزُولِهَا مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَهِيَ عَامَّةٌ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ"<sup>(3)</sup>.

### القراءات القرآنية في لفظ «أَيْمَةً»:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَقَاتِلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ» حَقَّقَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمَزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفَ الْهَمْزَتَيْنِ، وَسَهَّلَ الثَّانِيَةَ فِيهَا: نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَرُوَيْسٌ، وَتَسْهِيلُ الْهَمْزَةِ إِمَّا بِجَعْلِهَا بَيْنَ بَيْنَ، كَمَا هِيَ فِي سَائِرِ بَابِ الْهَمْزَتَيْنِ مِنْ كَلِمَةٍ، وَبِهَذَا وَرَدَ النَّصُّ عَنِ الْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ أَصْحَابِ وَرْشٍ، وَإِمَّا بِيَاءٍ خَالِصَةٍ، وَمَرْجِعُ الْاِخْتِلَافِ فِي الْقِرَاءَةِ إِلَى التَّخْفِيفِ الصَّوْتِيِّ، عِنْدَ مَنْ يَرَى التَّسْهِيلَ لِنَثْقِ

المتقدم بالنكث  
والطعن  
أولى من غيره  
بالعقاب

الاختلاف راجع  
إلى التخفيف  
الصوتي، بين  
تسهيل الهمزة  
أو تحقيقها

(1) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/73، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/47، وابن

عاشور، التحرير والتنوير: 10/130.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 9/170.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/117.

الجمع بين الهمزتين في النطق، وإلى تحقيق الهمزة الثانية، تكون على الأصل عند من يرى التحقيق<sup>(1)</sup>.

**سرّ العدول في قوله: ﴿فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾:**

كَانَ الظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: (فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الشَّرِكِ)؛ لِتَقْدِمِ لَفْظِ الشَّرِكِ فِي السِّيَاقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ (التوبة: 7)، فَعُدِلَ عَنْهُ إِلَى لَفْظِ الْكُفْرِ؛ إِذْ بَانَ أَنَّ نَكْتَ الْعَهْدِ وَالطَّعْنَ فِي الدِّينِ مِنْ خِصَالِ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُمْ غَطَّوْا فِطْرَتَهُمْ عَنِ الْحَقِيقَةِ الظَّاهِرَةِ عَقْلًا وَعُرْفًا بِوُجُوبِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَاسْتِقَامَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الشَّرِكُ فَهُوَ عِبَادَةُ إِلَهٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنْ دُونِهِ، فَدَلَالَةُ الْكُفْرِ هُنَا أَقْضَى لِحَقِّ الْمَعْنَى وَسِيَاقِهِ.

**مناسبة الأمر بقتل أئمة الكفر دون غيرهم:**

تَخْصِيصُ الْأَمْرِ بِمَقَاتِلَةِ الْأَيْمَةِ، مَعَ أَنَّهُ عَامٌّ لَهُمْ وَلَأَسَافِلِهِمْ؛ إِمَّا لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْأَتْبَاعِ تَقْلِيدَ الْأَيْمَةِ، فَيَصْدُرُونَ عَنْ آرَائِهِمْ وَتَدْبِيرِهِمْ، فَإِذَا قَاتَلُوهُمْ اضْطَرَبَ الْأَتْبَاعُ، وَدَانُوا لَهُمْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، وَإِمَّا لِأَنَّهُمْ إِذَا قَتَلُوهُمْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِمَامٌ فِي الْكُفْرِ، فَيَذْهَبُ الْكُفْرُ رَأْسًا<sup>(2)</sup>.

**دلالة الإضافة في قوله: ﴿أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾:**

الظَّاهِرُ أَنَّ الْإِضَافَةَ هُنَا بِمَعْنَى (فِي)<sup>(3)</sup>؛ أَي: أَيْمَةُ فِي الْكُفْرِ؛ بِمَعْنَى: تَوَغُّلِهِمْ فِيهِ حَتَّى صَارَ الْكُفْرُ ظَرْفًا حَاوِيًا لَهُمْ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: قَاتِلُوا ذَوِي التَّقَدُّمِ وَالرِّيَاسَةِ فِيهِ كَمَا تَقَدَّمُ، وَتَحْتَمِلُ الْإِضَافَةُ أَنْ تَكُونَ لِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ، وَالْمَعْنَى: قَاتِلُوا رُؤَسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَصَنَادِيدَهُمْ سِوَاءٍ أَكَانُوا هُمْ النَّاقِضِينَ وَالطَّاعِنِينَ أَمْ غَيْرَهُمْ؛ وَالْمَعْنَى: قَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفَّارِ، فَتَخْصِيصُ قَتْلِهِمْ؛ إِمَّا لِأَنَّ قَتْلَهُمْ أَهَمُّ، وَهُمْ أَحَقُّ بِهِ؛

نَكْتُ الْعَهْدِ  
وَالطَّعْنَ فِي  
الدِّينِ ضَدًّا  
لِلْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ  
وَالْعُرْفِ السَّلِيمِ

ذَهَابُ الْكُفْرِ  
بِذَهَابِ رُؤُوسِهِ،  
وَانْقِرَاضُ عُتَاتِهِ

إِسْلَامُ أَيْمَةِ  
الْكُفْرِ سَبَبٌ  
لِإِسْلَامِ أَتْبَاعِهِمْ

(1) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 312، وابن الجزري، النشر: 1/379.

(2) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 5/308.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 3/73.

لأنَّهم هم الذين يُحرِّضُونَ الأتباعَ على الأفعالِ الباطلةِ، وإمَّا منعُ المسلمينَ من مُراعاةِ رؤساءِ المُشركينَ، طمعًا في إسلامِهِمْ؛ فإنَّ إسلامَهُمْ سببٌ لإسلامِ أسافلِهِمْ<sup>(1)</sup>.

### براعةُ التعبيرِ بقوله: ﴿أَيُّمَّةَ الْكُفْرِ﴾:

لَمَّا كَانَ (أَيُّمَّةً) جمعُ إمامٍ بمعنى الذي يُقْتَدَى بهِ ويكونُ مَتَّبِعًا مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَتْ (أَل) جنسِيَّةً؛ بمعنى جنسِ الكفرِ لِيَدْخُلَ فِيهِ كُلُّ كَافِرٍ، فَالْأَصُوبُ فِي هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَا يُعْنَى بِهَا مُعَيَّنٌ بِذَاتِهِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِقِتَالِ أَيْمَّةِ النَّاكِثِينَ بِالْعَهْدِ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ دُونَ تَعْيِينِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ كُفَّارُ الْعَرَبِ وَمُحَارِبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَخُولًا أَوَّلِيًّا تَحْتَ اللَّفْظَةِ، إِذِ الَّذِي يَتَوَلَّى قِتَالَ النَّبِيِّ وَالِدَفْعِ فِي صَدْرِ شَرِيعَتِهِ هُوَ إِمَامٌ كُلُّ مَنْ يَكْفُرُ بِذَلِكَ الشَّرْعِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَأْتِي فِي كُلِّ جِيلٍ مِنَ الْكُفَّارِ أَيْمَّةٌ خَاصَّةٌ بِذَلِكَ الْجِيلِ، فَهُمْ لَا يَنْقَرِضُونَ يَحْيَوْنَ أَبَدًا وَيُقْتَلُونَ<sup>(2)</sup>.

### علةٌ مجيء (إِنَّ) فِي ﴿إِنَّهُمْ﴾:

فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ تفيدُ (إِنَّ) التَّعْلِيلَ وَبَيَانَ السَّبَبِ لِمَضْمُونِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ مَعًا، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا سَبَبُ تَعْلِيلِ قِتَالِ أَيْمَّةِ الْكُفْرِ بِكَفَرِهِمْ بَعْدَهُمْ وَطَعْنِهِمْ فِي الدِّينِ؟ وَهَلْ مِنْ حَقٍّ فِي قِتَالِهِمْ؟ فَبَيَّنَ الْحَامِلَ عَلَى الْأَمْرِ بِتَصْدِيرِ الْكَلَامِ بِ(إِنَّ)؛ تَنْبِيْهًُا عَلَى عَدَمِ تَوْفِيَّتِهِمْ بِحَقِّ الْإِيمَانِ الَّتِي قَطَعُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَتَكُونُ جُمْلَةُ ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ تَعْلِيلًا لِقِتَالِهِمْ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوهُ لِأَجْلِ اسْتِخْفَافِهِمْ بِالْإِيمَانِ الَّتِي حَلَفُوهَا عَلَى السَّلَامِ فَغَدَرُوا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّعْلِيلُ لِمَضْمُونِ الشَّرْطِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِنْ نَكُثُوا وَطَعْنُوا كَمَا هُوَ الْمُتَوَقَّعُ مِنْهُمْ؛ إِذْ لَا إِيْمَانَ لَهُمْ حَقِيقَةً حَتَّى لَا يَنْكُثُوهَا، أَوْ يَكُونَ لِاسْتِمْرَارِ الْقِتَالِ

لكلِّ جيلٍ أئمةٌ  
في الكفر، يزهو  
بوجودِهِمْ،  
ويضمحلُّ  
بانقراضِهِمْ

استحقاقُ أئمةِ  
الكفرِ القتالَ؛  
لاستخفافِهِمْ  
وغدرِهِم الأئيم

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/73، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/170.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/12.

المأمور به المستفاد من سياق الكلام، كأنه قيل: فقاتلوهم إلى أن ينتهوا؛ إنهم لا أيمان لهم حتى يُعقد معهم عهد آخر<sup>(1)</sup>.

### فائدة مجيء الجملة الاعتراضية:

لما جاءت الجملة الاعتراضية في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾ **لَهُمْ**<sup>(2)</sup> على معنى التعليل تضمنت بياناً للمسلمين، وتبهيها لهم كيلا يشرعوا في قتال أئمة الكفر، وهم غير مُطلعين بحكمة الأمر به، فيكون قتالهم مجرّد الامتثال لأمر الله، فلا يكون لهم من الغيظ على المشركين ما يشحذ شدتهم عليهم<sup>(3)</sup>، كما أفادت الجملة الاعتراضية تأكيد نقضهم العهد، وتقريره بنفي حقيقة أيمانهم؛ لأنّ القصد من الأيمان تعظيمها والوفاء بها، وهم قد نكثوا بها.

### دلالة عود الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾:

قوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ يعود الضمير على **﴿أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾** بما استحقوا به هذا الوصف، وهو نكثهم أيمانهم وطمعهم في دين الإسلام، فكان مجيء الضمير فيه على مقتضى الظاهر أوفى لحق المعنى وسياقه، وقيل: "أصوب" ما يُقال في هذه الآية: أنه لا يُعنى بها معين، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الناكثين للعهد من الكفرة إلى يوم القيامة، واقتضت حال كفار العرب ومُحاربي النبي ﷺ أن تكون الإشارة إليهم أولاً، ثم كل من دفع في صدر الشريعة إلى يوم القيامة فهو بمنزلة لهم<sup>(4)</sup>، وقد أصبح الكفر عبر العصور ألواناً وأشكالاً، وصار له أئمة ورواد، ونخب وزعماء يتولون كبره، ويتحملون وزره، وعليه فالضمير يحتمل العودة إلى المعنيين: القريب والبعيد، ويستوفي الدلالة فيهما معاً.

القصد من  
الأيمان تعظيمه  
والوفاء به

موقف الإسلام  
من أئمة الفجر  
والكفر ثابت لا  
يتغير، وباقي لا  
يتحوّر

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/48، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/130.

(2) التفسير، مدارك التنزيل: 1/667.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/130.

(4) الثعالبي، الجواهر الحسان: 3/163.

## كناية التعبير بقوله: ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾:

لما نفى تحقق أيمانهم دلَّ على أن لا عهد لهم بعد نقضهم العهد، ولما ربط الله تعالى استقامة المسلمين على العهد باستقامة الكفار لهم دلَّ على أن نفى تحقق أيمانهم يلزمه على سبيل الكناية أن لا يوفوا لهم العهد الذي كان لهم إذا نقضوا، فيكون تأكيداً لما تقدم، وتقريراً له<sup>(1)</sup>.

الأيمان لقطع  
الخصومات،  
لا أنها مسقطه  
للحقوق

## دلالة النفي في ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ لما أثبت:

(لا) هنا لنفي الجنس؛ بمعنى نفي حقيقة الأيمان لهم؛ أي: لا أيمان لهم على الحقيقة، وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا، وقد يقال: كيف يثبت لهم الأيمان في قوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾، ثم ينفي أصلها وحقيقتها؟ والجواب: أنه أثبتها لهم باللسان؛ لأن النكث لا يسمى نكثاً إلا بعد وقوع الأيمان والعهد، أو يقال: لأنه تعالى وصفها بالنكث، ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها، ثم نفاها عنهم في قوله: ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾؛ لأنهم لما لم يثبتوا على الأيمان، ولم يقوموا بحققها؛ إذ لم يوفوا بها نفاها عنهم في الحقيقة، فعهودهم ما هي إلا مخادعة لسانية لم يقصدوا الوفاء بها، فجاء الكلام لا على مقتضى الظاهر؛ إذ أحل المحيط بفائدة الجملة خبرية وبلازم فائدتها علماً محل الخالي الذهن عن ذلك؛ لعدم القيام بموجبها، ويحتمل أن يكون النفي مسلطاً على وصف محذوف، فيكون نفى الأيمان مقيداً، والتقدير: لا أيمان لهم يوفون بها<sup>(2)</sup>.

إقامة العالم  
بالشيء مقام  
الجاهل به؛  
لعدم القيام  
بموجبه

## توجيه القراءات القرآنية في ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾:

قرأ الجمهور ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ بفتح همزة ﴿أَيْمَنَ﴾ على أنه جمع

تنوع القراءة  
ملح لفهم  
الآية، وانفتاحها  
على مزيد من  
المعاني

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 5/308.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/73، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص: 171، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/380، والطبري، حاشية على تفسير الكشاف: 7/188، والتيسابوري، غرائب القرآن:

يَمِينٍ، وَقَرَأَهُ ابْنُ عامِرٍ بِكسرِ الهمزة، على أَنَّهُ مَصْدَرٌ؛ أَي: لِيَسُوا بِمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَكَرَّرَ فِي نَفْيِ إِيمَانِهِمْ بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُمْ بِأَثْمَةِ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ انْتِفَاءَ الْوَازِعِ عِنْدَهُمْ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْعَهْدِ، أَوْ اجْتِنَابِ الطَّعْنِ فِي الدِّينِ، وَالْمَقَامُ مَقَامُ تَعْلِيلٍ بَرَهَانِيٍّ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ، وَمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ لَا عَهْدَ لَهُ لَانْتِفَاءِ الْوَازِعِ، أَوْ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الْمَانِعَ مِنْ قَتْلِهِمْ أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الْعَهْدُ وَقَدْ نَقَضُوهُ، وَإِمَّا الْإِيمَانَ وَقَدْ حُرِّمُوهُ<sup>(1)</sup>.

### دلالة التعبير بلفظ (لَعَلَّ):

الكريم إذا أطمع  
فعل، وإذا وعد  
أنجز

لَمَّا كَانَتْ (لَعَلَّ) لَتَرْجِي مَا هُوَ مَحْبُوبٌ أَوْ دَفَعَ مَا هُوَ مَكْرُوهٌ، وَلِتَوْفُّعِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَفَادَتْ هُنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ الرَّجَاءَ لِلْمُخَاطَبِينَ وَالتَّوَفُّعَ مِنْهُمْ لَمَّا هُوَ مَحْبُوبٌ مَرْغُوبٌ؛ بِمَعْنَى: تَرْجُونَ بِقِتَالِ أَثْمَةِ الْكُفْرِ انْتِهَاءَهُمْ عَنِ النَّكَثِ وَالطَّعْنِ، وَتَتَوَفَّعُونَ مِنْهُمْ الْكَفَّ عَنْهُمَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّعْبِيرُ بِ(لَعَلَّ) عَلَى مَعْنَى: أَنَّ قِتَالَهُمْ يَجْعَلُهُمْ فِي صُورَةِ الْمَرْجُوِّ مِنْهُمْ أَنْ يَنْتَهُوا لِیَتَرَجَّحَ قِتَالُهُمْ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْأَمْرِ بِهِ، وَقَدْ يَكُونُ مَجِيءُ (لَعَلَّ) هُنَا عَلَى سَبِيلِ الْإِطْمَاعِ؛ لِأَنَّهُ إِطْمَاعٌ مِنْ كَرِيمٍ رَحِيمٍ، إِذَا أَطْمَعَ فَعَلَ مَا يُطْمَعُ فِيهِ لَا مُحَالَةً؛ لَجَرِي إِطْمَاعِهِ مَجْرَى وَعْدِهِ الْمَحْتَمِ وَفَاؤُهُ بِهِ<sup>(2)</sup>.

### سر التعبير بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾:

الباعث على  
قتال أئمة الكفر  
دفع ضررهم،  
وردتهم إلى ربهم

لَمَّا كَانَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ مُتَعَلِّقًا بِفِعْلِ الْأَمْرِ ﴿فَقَاتِلُوا﴾ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ مُسْتَمِرٌّ لِغَايَةِ انْتِهَائِهِمْ عَنِ النَّكَثِ وَالطَّعْنِ؛ لِیُفِيدَ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ قِتَالِ أَثْمَةِ الْكُفْرِ هُوَ دَفْعُ ضَرَرِهِمْ وَلَيْسَ أَذْيَتُهُمْ؛ أَي: لِيَكُنَّ غَرَضُكُمْ فِي الْمُقَاتَلَةِ بَعْدَ مَا وَجَدَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِظَائِمِ أَنْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ لَا إِیْصَالَ الْأَذْيَةِ بِهِمْ، كَمَا هُوَ طَرِيقَةُ الْمُؤْذِنِ، فَالْبَاعِثُ

(1) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 312، وابن الجزري، النشر: 2/278، والخفاجي، حاشيته على تفسير البضاوي: 4/534، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/130.

(2) الزمخشري، الكشاف: 1/92، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/334.

على قتالهم هو رُدُّهم إلى طاعة مَعْبُودِهِم رَحْمَةً عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَفَضْلِهِ وَعَوْدِهِ عَلَى الْمُسِيءِ بِالرَّحْمَةِ، فَهَذَا فِي حَقِّ النَّاكِثِينَ وَالطَّاغِينَ فِي الدِّينِ الْحَاقِدِينَ عَلَيْهِ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ فِي قُلُوبِهِمْ ضَغِينَةً عَلَى الْإِسْلَامِ؟<sup>(1)</sup>

### بلادة الكناية في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾:

لَمَّا جَعَلَ الْغَايَةَ مِنْ قِتَالِ أَثَمَةِ الْكُفْرِ الْإِنْتِهَاءَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ دَلَّ بِإِلَازِمِهِ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْقِتَالِ اتِّبَاعًا لِهَوَى النَّفْسِ أَوْ إِرَادَةً مَنَافِعِ الدُّنْيَا مِنْ سَلْبٍ وَكَسْبٍ وَانْتِقَامٍ مَحْضٍ، وَالْمَعْنَى: فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ لِأَمْرِ نَفْسَانِيٍّ، وَدَاعٍ شَهْوَانِيٍّ<sup>(2)</sup>.

### فائدة مجيء خبر (لعل) جملة فعلية:

أَفَادَ مَجِيءُ ﴿يَنْتَهُونَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ خَبْرًا لِلأَدَاةِ (لعل) تَقْوِيَةً لِلْحُكْمِ، بِمَعْنَى تَحْقِيقِ الْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْكُفْرِ، وَنَقْضِ الْعَهْدِ، وَالطَّمَعِ فِي الدِّينِ، وَتَقْرِيرِهِ بِقِتَالِهِمْ<sup>(3)</sup>، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ التَّرْجِي بِلَفْظِ (لعل)، الَّذِي يَفِيدُ التَّعْلِيلَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: 53]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: 32]

وَهُنَا يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: "أَمَّا إِذَا نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمُ الَّذِي قَطَعُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَطَعَنُوا فِي دِينِهِمْ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُقَاتِلُوا أَثَمَةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَا يُقِيمُونَ وَزْنَ أَيْمَانِهِمْ؛ لَعَلَّ هَذَا الْقِتَالَ يَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ عَنْ مَوْقِفِهِمُ الْبَاغِي"<sup>(4)</sup>، وَفِي آيَةِ التَّوْبَةِ نَجْدٌ أَنَّ التَّعْلِيلَ يَأْتِي مِنْ رَجَاءِ رَجُوعِهِمْ عَنْ بَاطِلِهِمْ، وَمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ

الحرب في  
الإسلام لمنع  
الباطل، وإرساء  
الحق والفضائل

أثر التعليل  
بـ(لعل) في جلاء  
المعنى واتساقه

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 8/86، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/73، وأبو حنبل، البحر المحیط: 5/381، والتيسابوري، غرائب القرآن: 3/436، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/172.

(2) رضا، تفسير المنار: 10/173.

(3) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 221.

(4) دروزة محمّد عزة، التفسير الحديث: 9/367.

نَكَثَ لِلْعَهْدِ، وَطَعَنَ فِي الدِّينِ بِمَا هُوَ مِنْهُمْ مَعَهُودٌ، بَحِثْ إِنَّ مَنْ شَمَلَتْهُ الْعَنَاءُ فَتَابَ خَرَجَ مِنَ الْحُكْمِ الْعَامِّ، وَمَنْ بَقِيَ عَلَى عُنَادِهِ، وَلَمْ يَبْرَحْ ضَلَالَهُ وَغِيَّهُ فَهُوَ لَمْ يَنْتَهَ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ عَلَةُ السِّيَاقِ حُضًّا عَلَى الْإِنْجَارِ، وَتَنْدِيدًا بِمَا يَفْعَلُهُ الطَّاعِنُونَ مِنَ الْكُفَّارِ.

### دلالة الضمير في قوله: ﴿يَنْتَهُونَ﴾:

لم يأتِ الدَّيْنُ  
إلا لأجل الصُّلحِ  
وقطع طمع  
المعتدين في  
القتال

لَمَّا كَانَ الْقِتَالُ يُفْنِي كَثِيرًا مِنَ الْكُفَّارِ أَوْ مِنْ أَنْمَتِهِمْ فَالِانْتِهَاءُ الْمَرْجُومِ مِنَ الْمَذْكُورِينَ فِي ضَمِيرِ الْجَمْعِ هُوَ انْتِهَاءُ الْبَاقِينَ مِنَ الْأَحْيَاءِ، بَعْدَ أَنْ تَضَعَّ الْحَرْبُ أَوَارَهَا<sup>(1)</sup>، مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَتِلُوا﴾ أَثْمَةً الْكُفْرِ؛ أَي: لِيَكُنْ عَرَضُكُمْ فِي مُقَاتَلَتِهِمْ انْتِهَاءً هُمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا وَجَدَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِظَائِمِ، وَهَذَا مِنْ غَايَةِ كَرَمِهِ عَلَى الْمُسِيءِ<sup>(2)</sup>.

### مناسبة حذف متعلق الفعل ﴿يَنْتَهُونَ﴾:

حُذِفَ الْمُتَعَلِّقُ  
لِإِفَادَةِ انْتِهَاءِ  
الْكُفَّارِ عَنْ جَمِيعِ  
غِيَّتِهِمْ وَنَكْثِهِمْ  
وَطَعْنِهِمْ

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ الْفِعْلِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ أَوْ عَنْ غِيَّتِهِمْ؛ لِيَتَنَاوَلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالنَّكَثِ وَالطَّعْنِ وَغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ، فَحُذِفَ الْمُتَعَلِّقُ؛ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، وَلِلْإِذَانِ بِعَظِيمٍ مَا وَجَدَ مِنْهُمْ، وَمَا أَظْهَرُوهُ<sup>(3)</sup>، وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى تَخْصِصِ الْمُتَعَلِّقِ؛ لِيَكُونَ بِتَقْدِيرٍ: يَنْتَهُونَ عَنْ نَقْضِ الْعَهْدِ أَوْ عَنِ الطَّعْنِ أَوْ عَنِ الْكُفْرِ، وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَوْلَى وَأَثَرَى فِي الْمَعْنَى الْمُنَاسِبِ لِلْسِّيَاقِ<sup>(4)</sup>.

### ❁ الفروقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

#### (نَكَثَ) وَ(نَقَضَ):

لَمَّا كَانَ النَّكَثُ بِمَعْنَى تَشْعِيشِ الشَّيْءِ الْمُلْتَمَمِ وَنَقْضِهِ بَعْدَ إِحْكَامِهِ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/130.

(2) التَّسْفِي، مدارك التنزيل: 1/667.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/73، والتَّسْفِي، مدارك التنزيل: 1/667، والبقاعي، نظم الدرر: 8/392.

(4) للاتريدي، تأويلات أهل السنة: 5/309، والبعوي، معالم التنزيل: 2/322، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/535، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/131.

كَمَا تُنَكِّثُ خِيوطَ النَّسَائِجِ بَعْدَ إِبْرَامِهَا، كَانَ أَخَفَّ مِنَ النَّقْضِ الَّذِي بِمَعْنَى: انْتِبَارِ الْعَقْدِ مِنَ الْبِنَاءِ، حَتَّى يُسْمَعَ لَهُ صَوْتُ، وَمِنْهُ: نَقْضُ الْحَبْلِ وَالْعَقْدِ وَهُوَ ضِدُّ الْإِبْرَامِ، فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ النَّقْضُ أَشَدَّ مِنَ النَّكْثِ؛ فَلَا يَقَعُ إِلَّا بِثَقَلٍ بَالِغٍ شَدِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ، فَاسْتَعْمَلَ النَّكْثُ مَعَ الْإِيمَانِ مُطْلَقًا، وَمَعَ الْبَيْعَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١٠﴾ [الفتح: 10]، بَيْنَمَا اسْتَعْمَلَ النَّقْضُ مَعَ الْإِيمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، وَمَعَ الْعَهْدِ بَعْدَ مِيثَاقِهِ، وَمَعَ الْمِيثَاقِ الْمَغْلَظِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١٥١﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [النساء: 154 - 155] (1).

(1) الْأُزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، وَالرَّازِبِيُّ، الْمَفْرَدَاتُ، وَجَبَلٌ، الْعَجَمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (نَقْضٌ - نَكْثٌ).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22  
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-  
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 16، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-12-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 16: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-  
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).  
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-768-12-8

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9828150 بتاريخ 2024/01/18م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري  
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»